أوربا على المحور

معركة المبادئ والنظم

لباحث دبلوماسي كبير

كانت الثورة الاسبانية نذير عاصفة دولية جديدة من نوع خاص ؛ فقد سرت ريحها خارج الجزيرة بسرعة ، وتكشفت عن نتيجة لم يكن يتوقعها أحد ؛ ذلك أنها لم تبق بعد مسألة داخلية تهم أسبانيا وحدها ، ولكنها تغدو شيئاً فشيئاً مسألة أوربية عامة تشغل بشأنها الدول العظمى . ومما يلفت النظر بنوع خاص ، هو أن ما تثيره الحوادث الاسبانية من الاهتمام لا يقتصر على الناحية السياسية فقط ، بل يتعداها إلى ناحية أخرى أهم وأبعد أثرا ، هي الناحية الاجتماعية ، أو بعبارة أخرى ، هي ناحية النظام الاجتماعي الذي تدور حوله رحى الحرب الأهلية في أسبانيا

وقد تناولنا أسباب الثورة الاسبانية وتطوراتها في مقال سابق ، وبينا كيف أنها تقوم على صراع بين المبادئ والنظم مازالت تضطرم اسبانيا بشروره منذ قامت فيها الجمهورية على أنقاض الملوكية القديمة وطغيان العسكرية المطلق ؛ على أن هذه الناحية الاجتماعية في معارك اسبانيا الاهلية لم تبد من قبل بمثل ما تبدو به اليوم من القوة والوضوح ؛ ففي معسكر الحكومة الجمهورية تجتمع جميع الطبقات العاملة من الفلاحين والعمال وجميع القوى الديموقراطية والاشتراكية ، وفي معسكر الثورة تحتشد عناصر الطغيان العسكرية التي حكمت أسبانيا من قبل عدة أعوام ، ورجال الدين الذين جردتهم الجمهورية من نفوذهم وامتيازاتهم القديمة ، وفلول الملوكية القديمة ومن اليهم من النبلاء ورجال المال والصناعة الذين أضرت النظم الاشتراكية بمصالحهم المادية ، وهؤلاء يمدون الثورة بالمال ؛ وهذه الصورة البارزة التي تقدمها الينا الحرب الأهلية الاسبانية ، يقدمها الينا زعماء الجبهتين الخصيمتين أنفسهم ؛ فزعيم الثورة الجنرال فرانكو يقول لنا إن الثورة الحالية إنما هي حركة قومية يراد بها انقاذ اسبانيا من قبضة الاشتراكية والشيوعية ، ومن الفوضى الاجتماعية التي انحدرت اليها في ظل الأنظمة المتطرفة ، وإقامة حكومة قومية تحترم حقوق الفرد والملكية ، وتعيد إلى اسبانيا هيبتها الدولية في ظل أنظمة قوية محترمة ؛ وحكومة مدريد تقول لنا إنها تدافع عن الحريات الجمهورية ازاء الخطر الفاشستي الذي يهدد البلاد بعود الحكم المطلق ، وتناشد جميع طبقات الأمة ، ولا سيما الطبقات العاملة ، أن تذود عن حرياتها وحقوقها التي اكتسبتها بدمائها وتمتعت بها في ظل النظام الجمهوري

وهذه الناحية الاجتماعية البارزة التي تسفر عنها الثورة الاسبانية تغدو اليوم مسألة أوربية شائكة ، تكاد أوربا تنحدر إلى غمرها ، بل لقد ظهرت بوادرها العملية بالفعل ، وبدا خطرها واضحاً على السلم الأوربي ، فقد ظهر أن الثورة العسكرية الاسبانية تتمتع منذ الساعة الأولى بتأييد الدولتين الفاشستيتين الكبيرتين : أعني ايطاليا وألمانيا ، وهو تأييد يتخذ صورته المادية في امداد الثورة بالسلاح والمال ؛ وقد أمدت ايطاليا الثوار علانية بسرب من الطيارات ؛ وبعثت ألمانيا بارجتين من أسطولها إلى مياه سبتة ، واتصل ضباطهما بزعماء الثورة في زيارة رسمية ؛ وازاء هذا التأييد تقوم الدولتان الديموقراطيتان الكبيرتان : أعني فرنسا وانكلترا من جانبهما بتأييد حكومة مدريد ؛ وإذا كانت فرنسا

يكتفون بمطالب اعترفت لجان التحقيق الانجليزية واحدة بعد واحدة بعدلها ووجوب إجابتها . وليس أدل على أن قلوب العرب كلهم يعصرها الألم لمصاب فلسطين من إجماع ملوك العرب على التوسط عند الحكومة البريطانية طالبين الانصاف لهذا الشعب المسكين . وقد تستطيع بريطانيا بقوتها أن تطفىء الثورة وتخمد الوقدة ، ولكنها لا تكسب بذلك بل تخسر : تكسب استقرار الأمر لها على الحد الذي ترومه في فلسطين — إلى حين — وتخسر العرب جميعاً في كل رقعة من رقاع الأرض . ولو فاءت إلى العدل ، لما غض ذلك منها عند العرب ، ولا حمل أحداً على الاستخفاف بقوتها كما تتوهم ، بل لكان ذلك حقيقاً أن يرفع مقامها ويعلي منزلتها ، لأن العرب كما قلنا لا يكبرون شيئاً كما يكبرون العدل ، والعادل عندهم أسمى مكاناً وأرفع درجات وأحق بالتوقير من القوي ، وتاريخهم الطويل كله — في أمجد عصورهم وأحطها — شاهد بذلك

ابراهيم عبد القادر المازني

تؤثر أن تتظاهر بالحيدة فلا ريب أنها مع ذلك تمد حكومة مدريد بالمال والسلاح ؛ أما انكلترا فلم تتردد فى امدادها بالطيارات ، ولكن تحت ستار التجارة الحرة . وفى ميدان السياسة الدولية تعتبر المسألة الاسبانية مسألة اليوم ، وقد طرحتها فرنسا على بساط البحث بتوجيه مذكرة إلى انكلترا وايطاليا وألمانيا ، تقترح فيها أن تجتمع الدول الأربع لبحث المسألة الاسبانية ، واصدار تصريح تتعهد كل منها فيه بالتزام الحيدة وعدم التدخل فى حوادث اسبانيا ؛ وقد أجابت انكلترا بتأييد هذا الاقتراح لاتفاق وجهة نظرها مع وجهة النظر الفرنسية ؛ أما ايطاليا فقد أبدت عليه تحفظاتها ، وأما ألمانيا فقد اشترطت أن تدعى روسيا السوفيتية للاشتراك مع باقى الدول فى القيام بهذه الخطوة . ولاقتراح ألمانيا مغزاه ، وهو أن روسيا السوفيتية تؤيد حكومة مدريد والجبهة الاشتراكية التى تستند اليها ، أو بعبارة أخرى هو أن التدخل البلشفى عامل هام فى تطور الحوادث فى أسبانيا

ويجب أن نلاحظ أن العوامل الاجتماعية التى أملت على الدول موقفها ترجع من جانبها إلى عوامل المصلحة المادية . ذلك أن انكلترا التى تسهر فى جبل طارق على أبواب البحر الأبيض المتوسط ومدخل المحيط الأطلانطى ، تخشى أن تتأثر سيادتها فى هذه المياه بتطور الحوادث الأسبانية تطورا لا يرغب فيه ، وذلك بقيام حكومة فاشستية فى مدريد تتأثر بوحى الفاشستية الايطالية التى غدت منذ المسألة الحبشية شوكة فى جانب الامبراطورية البريطانية . هذا إلى أن لانكلترا فى اسبانيا مصالح مالية خطيرة ، والأموال الانكليزية تغذى معظم شركات التعدين الاسبانية ؛ ومع أن انكلترا تبغض شبح الفاشستية وتخشاه ، فأنها أيضاً تبغض شبح البلشفية والاشتراكية المتطرفة وتخشى أن يؤدى ظفر الجبهة الشعبية الجمهورية فى اسبانيا إلى قيام حكومة تخضع لنفوذ موسكو ، وتعمل على مناوأة نفوذها ومصالحها فى غرب البحر الأبيض المتوسط . فالسياسة الانكليزية تعمل فى هذا الظرف على إيجاد نوع من التوازن القوى فى اسبانيا وقيام حكومة ديموقراطية معتدلة تجانب الغلو والتطرف ؛ وأما موقف فرنسا فتمليه مصالحها فى البحر الأبيض المتوسط ، والخوف على سيادتها فى مراكش من أن تتأثر بظفر الفاشستية المتطرفة فى اسبانيا

على أن المسألة الاسبانية تبقى فى جوهرها قائمة على معركة المبادىء التى تلوح اليوم قوية فى أوربا ؛ فالفاشستية — فى شخص إيطاليا وألمانيا — تحاول بمبادئها الطاغية المغرقة أن تهدم حصناً جديداً للديموقراطية ، وأن تضم دولة أوربية جديدة إلى جبهتها بمؤازرة الثورة العسكرية الاسبانية ؛ والديموقراطية — فى شخص انكلترا وفرنسا — تحاول أن تقف فى وجه الفاشستية ؛ وروسيا البلشفية تحاول أن تنتهز الفرص لبث دعايتها لاضرام الثورة العالمية ؛ والفاشستية تمثل جبهة الدول الناقة التى حرمت من مزايا الاستعمار الباذخ ؛ والديموقراطية تمثل جبهة الدول الراضية التى تتمتع بالثراء والاستعمار الباذخ ؛ ومعركة المبادىء تتحد هنا مع معركة المصالح المادية

وهذا هو وجه الخطر فى الأزمة التى تغيم اليوم فى أفق السياسة الأوربية ، والتى قد تغدو غير بعيد خطراً يهدد السلم الأوربى ، ذلك أن معركة المبادىء والمثل تغذيها هنا مصالح مادية قوية ؛ وهذا الصراع الذى تذكيه شهوات المادة والمبدأ معاً هو أخطر أنواع الصراع الدولى . فالبلشفية من ناحية ، والفاشستية والنازية من الناحية الأخرى تنزل إلى ميدان الصراع مسلحة بأخطر أنواع الدعاية والقوى المادية ؛ والديموقراطية من جانبها تحاول أن تقف موقفاً وسطاً بين المبادىء والمثل المضطرمة ، وأن تدفع تيار التطرف من الجانبين صوناً لوحدتها وكيانها . ولنلاحظ أيضاً أن فرنسا الاشتراكية تؤثر ظفر الجبهة الشعبية الاسبانية ، ولو أن هذا الظفر قد يدفع اسبانيا إلى أحضان الشيوعية ، ذلك أن روسيا البلشفية تقف إلى جانب فرنسا فى ميدان الصراع الدولى ضد ألمانيا ، وألمانيا تعتبر نفسها حاجزاً للبلشفية وترى فى روسيا ألد أعدائها ؛ وإيطاليا ترى فى ألمانيا حليفتها فى المبادىء والمثل ؛ والفاشستية والنازية كالبلشفية تعتبر كلتاهما أنها نظام المستقبل وتحاول أن تدفع مبادئها إلى خارج حدودها بمختلف الوسائل

هذه هى عناصر المعركة الدولية الخطيرة التى أثارتها الحوادث الاسبانية ؛ وهى مازالت فى طور التمهيد والمقدمات ؛ ومن

الصعب الآن أن تتبين طورها المقبل ؛ ذلك أن سيرها يتوقف كثيراً على سير الحوادث فى اسبانيا ؛ بيد أنا نستطيع أن نتبين بعض وجوه الخطر الذى يهدد السلم الأوربى ؛ فايطاليا التى ما زالت ثملة بفوزها فى الحبشة تحاول أن تستغل الظروف ، وأن توجه ضربة جديدة إلى الأمبراطورية البريطانية وإلى سيادة بريطانيا فى البحر الأبيض ؛ وألمانيا التى جردت من مستعمراتها تحاول أن تجد فرصة للتدخل فى شؤون البحر الأبيض ، وبخاصة فى شؤون طنجة ومراكش ، وأن تنتهز مخاوف انكلترا وفرنسا لتثير المسألة الاستعمارية من جديد ؛ وانكلترا التى شعرت منذ المأساة الحبشية بما يهدد سيادتها فى البحر الأبيض من الأخطار تتحين الفرص لتوكيد نفوذها وهيبتها ؛ وفرنسا لا تطيق لحظة أن يتعرض مركزها فى مراكش لأى تدخل أو خطر . ومما يجدر ذكره بهذه المناسبة أن تحرش ألمانيا بمركز فرنسا فى مراكش يوم ضربت عليها الحماية الفرنسية كان من أهم العوامل فى تسميم جو السياسة الأوربية قبيل الحرب الكبرى ، والتمهيد لذلك الجو المضطرب الذى اجتمعت فيه أسباب الحرب

هذا وهناك ظاهرة تتكشف عنها تلك المعركة الخطيرة بين الديموقراطية والفاشستية ، هى أن الفاشستية تعمل بسرعة وعزم دون تردد أو تدبر للعواقب ؛ وأما الديموقراطية فما زالت مختلفة متنازعة ، وما زالت تجنح إلى التردد والتخاذل . وقد استطاعت الفاشستية غير مرة أن تنتهز فرصة هذا التخبط وأن تضرب ضرباتها فى صميم الديموقراطية ؛ ومن جهة أخرى فقد أفسدت الروح الاشتراكية المتطرفة عقلية الجماهير ، وبثت فيها كثيراً من دواعى التخاذل والغرور ، هذا بينما تجد الصفوف الفاشستية منظمة طائعة تعمل لأول إشارة تلقى اليها

فهل تستحيل تلك المعركة الدولية فى القريب العاجل إلى صراع الحياة والموت بين النظم والمثل فى أوربا ؟ وهل تدفع أوربا إلى طريق حرب جديدة ما زالت عواملها تجتمع فى الأفق منذ حين ؟ هذا ما سوف نتبين فى المستقبل القريب . بيد أنه مهما كانت ظروف المعركة الحالية ، ومهما كانت نتائجها ، فلا ريب أنها من عوامل الخطر فى مصير السلم ومصير أوربا؟

(***)

فن القصة
فى الأدب المصرى الحديث
للأستاذ هلال أحمد شتا

طالعتنا (الرسالة) الغراء ، فى عددها رقم ١٥٧ ، بمقال طلى للكاتب الأديب الأستاذ محمد على غريب ، ألم فيه بدراسة شائقة لنتاج قصصى مصرى شاب . . وقد مهد لدراسته هذه بمقدمة تناول فيها فن القصة فى الأدب المصرى الحديث .

ولقد كانت هذه المقدمة القصيرة — كما دعت الحال — لمحة خاطفة ، والمامة مقتضبة ، جال فيها قلم الكاتب جولة سريعة كما تجرى أحداث الدنيا فى عصرنا الحاضر . ولكنها ساقت الى رأسى هذا البحث الذى أطالع القراء به اليوم : وهو بحث فى القصة المصرية رويت فيه بعض الروى ، لأتمكن من الدراسة الهادئة غير العاجلة ، ولألم فيه بتاريخ القصة فى الأدب العربى ، وبقيمة هذا الفن الجميل ، وبنشأته فى الأدب المصرى الحديث ، وبالدوافع الغربية التى تأثر بها منشئو القصة فى مصر ؛ ثم بما حظيت به من جهود الأدباء المصريين ، وما بلغته هذه الجهود من توفيق وما قطعته فى طريقها نحو السداد

***

ويجدر بنا — قبل أن نوغل فى الحديث — أن نستعرض ما لهذا الفن الجميل من آثار جليلة فى تكوين النفوس والعقول على السواء . فالقصة الناجحة القريبة من الكمال الفنى ، أبلغ تأثيراً فى النفس ، وأقوى سلطاناً على العقل ، من أى عمل فنى آخر .. لأن الفنون الجميلة عامة تفعل فى النفس فعلاً ، ولا تقوى على أن تفعل فى العقل شيئاً . . وإذا نظر الانسان الى لوحة فنية بالغة نهاية الكمال ، أو الى تمثال أفرغت فيه عبقرية فنان موهوب ، أو إذا استمع قطعة موسيقية تضافرت فيها براعة نفر من نوابغ الواضعين والعازفين ، فستطغى على نفسه موجة من الشعور بالسرور أو باحساس يشبه السرور والنشوة ، ولكن عقله لن يتأثر بذلك شيئاً .. فى حين أن القصة الناجحة قد تخلق من قارئها إنساناً